# مجلة المجمع العلمي

# فلسفة الأخلاق
## بين اليونانيين والعرب

**الدكتور عادل البكري**
عضو اتحاد المؤرخين العرب
اختصاص في الطب والفلسفة

**الملخـــص :**

للأخلاق مكانة في الفلسفة اليونانية والعربية بَدَأتْ بهـــا فلـــسفة سقراط وتطورتْ في زمن أفلاطون وأرسطو ، وأصـــبح للأخـــلاق عنـــد الفلاسفة العرب آراء ومبادئ تَضَمنتها مؤلفات عديدة لهم . وكان أول ما تطرقت اليه الفلسفة فكرة الخير والشر في الطبيعة الانسانية ثـــم ظهـــر الاختلاف حولها . ونَظَر بعض الفلاسفة فقالوا ان الخير هو وَجْـــه مـــن أوجه الغريزة الانسانية وهو قديم قدم الانسان نفسه ، أي أصالة تقـــضي بأَنَّ ( ما ينبغي أن يكون هو كائن ) . وقال آخرون أنهـــا العواطـــف او الحاجة او المصلحة الخاصة التي هي وليدة النشوء والارتقاء وعوامـــل التطور ، وهو رأي الفلاسفة الطبيعيين .

ويرد في البحث محاورة سقراط واقريطون عن ضرورة الابتعـــاد عن الشر والخطأ التي تتوضح فيها المقارنة بين الفلـــسفتين اليونانيـــة والعربية اتفاقا واختلافا وبيان أي الفلاسفة العرب حول مسألة الاخـــلاق التي تؤيدها طبيعتهم وبيئتهم ودينهم .

**المقدمـــة :**

شَغَلَتْ قضية الأخلاق الفلاسفة منذ القديم وأخذتْ جزءً كبيرا مـــن تفكيرهم ، وتناولها الكثير منهم بالبحث والدراسة منذ العصر اليوناني حتى الوقت الحاضر . وهم وإن اختلفوا في تعريفها الا انهم اتفقوا على نتائجها واهميتها وتأثيرها في المجتمع . وقالوا انهـــا نظريـــات وآراء وقـــوانين وضعت لتنظيم الحياة الانسانية ، فكانت منها الأخلاق الشخصية واخـــلاق الاسرة والاخلاق الاجتماعية والاخلاق السياسية ، وكلها تغوص بجذورها في حياة الانسان ، بل هي اكثر تأثيرا في حياة الانسان من العلوم الفيزيائية والرياضية .[1]

والاخلاق في نظر الفلسفة هي التفريق بين الخير والشرّ وبين الحق والباطل في سلوك الانسان مع نفسه ومع الآخرين وقد اختلف الفلاسفة في تعريف الاخلاق ولا يزالون مختلفين في ما هو الحسن وما هو السيء ، وان العمل الواحد قد يكون حسنا في حالةٍ وقبيحا في حالةٍ اخرى ، و يكون أخلاقيا في مكان وزمان أو مستهجنا في مكان وزمان آخر ، ولذلك كان قانون الأخلاق هو الحكم في افعال الانسان ورغباته والسيطرة على أطماعه ومطاليبه ، فهو الذي يحدّد لنا الحَسَن والسيئ ويبين إن كانا يتغيران بتغير الزمان والمكان فلا يجعل الناس يحكمون على عمل ما بيحكم ويحكمون على عمل مشابه له بحكمٍ آخر غيره .

والاخلاق كأي شيء آخر يحوي الخير والشر بمقدار ملاءَمة ذلك لمئارب الانسان واحتياجاته ، وهما يختلفان باختلاف الشعوب والأزمنة ،

---

[1] مدخل جديد الى الفلسفة – الدكتور عبد الرحمن بدوي – ص٤٥ .

فان الاخلاق الحميدة عند بعض الشعوب هي لا أخلاقية عند شعوب اخرى كتعدد الازواج والزوجات والانتحار بالحرق بالنار وتعذيب الزوجة عند وفاة زوجها فهي تعتبر اخلاقا فاضلة عند بعض الشعوب وسيئة عند شعوب اخرى ، وان الاخلاق العسكرية الجيدة هي القتل و التدمير . وقد اعتبر هنود امريكا الرمح والقوس هي علامة الاخلاق الفاضلة واعتبروا الزراعة عملا منحطا ومشينا . ولكن الطبيعة زودتنا بمقياس جيد نميّز به الخير والشر وهو مقياس اللذة والالم . فاللذة تشير الى منفعة الشيء من الناحية البيولوجية ، ويشير الألم الى ضَرَرِه من الناحية نفسها ، وان اختلاف الآراء حول الاخلاق يدلّ على أن الاخلاق ممكن أن تكون قابلة للتبديل والتغيير ويمكن أن تتراوح بين الحَسَن والسيء لأنها فكرٌ أوجدته العلاقات الاجتماعية وفرضته ظروف الحياة واحتياجاتها .

ومن أجل توضيح ذلك نفترض ان انسانا يعيش بمفرده في جزيرة معزولةٍ منذ صغره ولا يجد اناسا حوله فانه لا يعرف ما هي الاخلاق ، فلا يعرف معنى الصدق وهو ليس بحاجة اليه ولا يستطيع ان يفرّقه عن الكذب الذي لا وجود له في تلك الجزيرة ، ولا يعرف معنى الامانة او الكرم او الحكم او الوفاء بالعهد ما دام هو وحده بالجزيرة وقد نشأ فيها منذ صغره ولا يوجد انسان غيره يطالبه بهذه الافعال او االصفات او يحاسبه عليها ، ولا هو بحاجة اليها او الى مثلها فان لها مكانا آخر وبيئة اخرى غير المكان الذي هو فيه . كما انه لا يعرف الصداقة ولا الروح الاجتماعية ولا الانسانية فهي مجهولة له فهو لم يتعرف عليها ولم يَرَ ضرورة لها .

ومن المؤكد ان النتائج المادية والمعرفية التي حققها العلم تدفعنا يوما بعد يوم الى الاعتقاد بان العلم اصبح منهجا لأيةِ معرفةٍ بشرية ومن ذلك امكانية تحول ابحاث الفلسفة التقليدية ، والاخلاقية بشكل خاص لتكون قسما من أقسام العلوم فنعمد الى دراسة اتصال الاخلاق بالعلم بل نقل البحث الاخلاقي الى مجال العلم[٢] كما حدث لعلم النفس ، وهو الاتجاه الذي يسير عليه علماء الاخلاق والمختصون بها هذا اليوم . وقد جعل بعض الفلاسفة ( علم الاخلاق ) على قدم المساواة مع علم المنطق وقالوا ان موضوع الاخلاق هو ( القصد نحو الخير ) كما ان المنطق هو ( القصد نحو الحقّ ) وحجتهم في ذلك ان الاخلاق علم عقلي حول ما ينبغي ان يكون وما لا يكون ، وهو لا يخلو من طابع ذاتي لذلك فان الانسان هو الذي يستطيع ان يقاوم رغباته ويضع غرائزه موضع البحث ، فهو لهذا السبب قالوا أنه ( الحيوان الاخلاقي ) الذي يتجه الى ( ما ينبغي ان يكون ) ويقصدون به فعل الخير .[٣]

ولما كانت الاخلاق في نظر الفلاسفة التقليديين تعبيرا عن الضمير الانساني والعقل البشري فان أوامرها لابد أن تكون واحدة بالنسبة الى جميع الناس على الاطلاق ولعل هذا هو السبب في استهدافها لحملات انصار النسبية .[٤]

---

[٢] كتابة تاريخ الفلسفة العربية المعاصرة – الدكتور حسن فاضل جواد – بيت الحكمة – بغداد ٢٠٠٣ .

[٣] مشكلة الفلسفة – الدكتور زكريا ابراهيم – ص٢٠٥ .

[٤] المصدر السابق – ص٢١٠ .

ويبدو الاختلاف بين الفلاسفة في كل شيء ولذلك نرى الاختلاف في ثلاث صور للحياة الاخلاقية وهي :

اولا ــ ما تدعو اليه الأديان من رحمة ولين ومحبة ومساواة بين الناس ودفع الشر بالخير .

ثانيا ــ اعتماد العقل الذي يستطيع ان يحكم متى تسود المودَّة وحسن الاخلاق وبالتالي تسود الفضيلة وهنا ما دعا اليه سقراط وافلاطون وارسطو .

ثالثا ــ حكم العواطف والميل الى العنف وعدم المساواة بين الناس فتكون القوة هي القانون الأمثل وهو ما دعت اليه الفلسفة اللا أخلاقية .[٥]

ويقول علماء الاجتماع ان كل المحاولات التي قام بها الفلاسفة من اجل تأسيس ( اخلاق عامة ) باءَت بالإخفاق لان المفاهيم الاخلاقية متغيرة وليست بهذه البساطة ، ولأن فلاسفة الأخلاق يستمدون معظم مبادئهم من الأخلاق القائمة بالفعل بحيث ان اخلاقهم النظرية تبدو بمثابة تبرير للاخلاق التي هي شائعة[٦] . ومهما يفعل فيلسوف الاخلاق فان تأثيره لابد ان يبقى غير مباشر لأنه لا يستطيع ان يقضي على ارادة الآخرين وليس من شأنه أن يقضي على الحرية البشرية .

وفكرة الخير والشر من أهم مباحث الفلسفة الاخلاقية ان لم تكن اهمها على اية حال ، بل من أهم ما شغل الفكر الانساني حتى قبل ان يصبح موضوع الاخلاق دراسة فلسفية فالخير منذ آلاف السنين

---

[٥] قصة الفلسفة – ول ديورانت – ص٢٢٥ .

[٦] مشكلة الفلسفة – الدكتور زكريا ابراهيم – ص٢١٤ .

هو الغاية الانسانية المنشودة ، وان الشرّ كان منذ القديم همّها المقلق وعدوها اللدود .[٧]

وفي نشوء فكرة الخير والشر رأيان اثنان من حيث القدم والحداثة ، حسب رأي الفلاسفة اليونان وبعض المحدثين :

اولهما يرى ان فكرة الخير والشرّ قديمة في الطبيعة الانسانية قدم الانسان نفسه ، وهذا رأي الميتافيزيقيين .

والرأي الثاني يرى ان فكرة الخير والشّر اهتدت اليها الانسانية بعد تجارب طويلة وهي وليدة النشوء والارتقاء وفعل عوامل التطور ولم يكن الانسان القديم يدري شيئا عن هذه الفكرة ولم تخطر في تفكيره وهذا رأي الطبيعيين والفلاسفة الوضعيين .[٨]

ويرفض ابيقور ان يكون فعل الخير لأجل الخير وأن الفضيلة لأجل الفضيلة ، ويقول ان الأصل في كل فعل اخلاقي أن يتجه الى تحصيل اللذة وتجنب الالم . ويقول ان اللذات تقسم الى ثلاثة انواع :

١ــ لذات هي من النوع الضروري الذي يؤدي الى اشباع الحاجات الاولية للكائن الحي ، منها ( الحركية ) وتحدث عند اشباع الرغبة او الحاجة ، ومنها ( السكونية ) وهي الخلو من الحاجة أي الاكتفاء بالشيء .

٢- لذات غير ضرورية كالتأنق في الملبس والمأكل وفيها خير لانها تحدث لذة .

---

[٧] المشكلة الاخلاقية والفلاسفة – اندرية كريسون – ص٣ .

[٨] المصدر السابق – ص٦ .

٣- لذات ليست ضرورية ولا خير فيها وهي تحدث شعورا بالنقص والحاجة كالطمع والطموح والشهوات .[٩]

كما ان للخير والشر عند الفلاسفة مذهبان من حيث الاطلاق والنسبية ، اولهما يجعل الخير امرا مطلقا عند الانسان لا يتغير بتغير الظروف مهما كانت ، والآخر يجعله امرا نسبيا يختلف باختلاف الظروف القائمة أي قواعد السلوك المتغيرة .

فالمذهب الاول له انصاره الذين يرون الخير انه كائن في ذات الأفعال وهو يدرك بالحدث أو بالعقل لأن الواجب الخلقي يفرض بحكم العقل ولا يتأثر بالعاطفة وهو واجب على كل انسان مهما كانت احواله وظروفه وهو قواعد السلوك الثابتة .

واما المذهب الثاني فيرى انصاره ان الخير مرهون بالغاية من الافعال اذا كان يؤدي الى المنفعة الشخصية او السعادة او اللذة . فالغاية هي التي تحدد هدف الاخلاق وتوجد بوجود ضرورة لوجودها وتتكامل حسب حاجة الناس لها .

وفي نظرة شاملة وموجزة عن الاخلاق تظهر لنا حقائق واضحة حول تقسيم الاخلاق حسب اتجاهاتها كتقسيمها الى طبيعية ومكتسبة ، أي تلك التي تخلق مع الانسان منذ اول نشوئه ، او تلك التي يكتسبها المرء مع مرور الايام والسنين .

---

[٩] خريف الفكر اليوناني – الدكتور عبد الرحمن بدوي – ص٦٤ .

وتقسيمها الى ( اخلاق ذاتية ) تتمثل في وعي الانسان وتجرده من كل علاقة فيواجه نفسه بذاته وتكامل اصالته ، و ( اخلاق موضوعية ) هي اخلاق الانسان كفرد من مجتمع ينتمي اليه .

وكذلك تقسيمها الى ( اخلاق نظرية ) تبحث في الواجب و الفضيلة والخير والشّر ، و ( اخلاق عملية ) وتبحث في الحق والمسؤولية والجزاء وسلطة القانون ، واقسام اخرى حسب آراء الفلاسفة واختلاف نظرتهم .

**سقراط والاخلاق :**

نهض سقراط بالفلسفة الاخلاقية في اليونان واهتم بدراسة سلوك الانسان وتصرفه في حياته ولذلك يعد مؤسس علم الاخلاق[١٠] فجعله يتميز عن تقاليد الدين وجعل الأساس فيه هو الانسان وليست الطبيعة وكان يقول ان الفضيلة هي المعرفة ويمكن تعلمها حتى نستطيع تجنب الخطأ وافعال الشرّ . وقد اوضح رأيه في محاورة له مع ( اقريطون ) نذكرها فيما يأتي . وقد جرت هذه المحاورة في سجن سقراط عندما حكم عليه بالموت وقبيل تنفيذ الحكم فيه :

قال سقراط : يجب ان لا نفعل الخطأ .

قال اقريطون : يقينا يجب ان لا نفعله .

قال سقراط : واذا اصابنا الضرر فلا نرده بضرر مثله لأنه يجب أن لا نصيب احدا بضرّ .

قال اقريطون : واضح ان ذلك لا يجوز .

قال سقراط : وهل يجوز لنا ان نفعل الشر يا اقريطون ؟

---

[١٠] تاريخ الفلسفة اليونانية – يوسف كرم – القاهرة ١٩٣٦ – ص٦٦ ، ٦٧ .

قال اقريطون : لا يجوز قطعا يا سقراط .

قال سقراط : وما رأيك في رد الشرّ بالشرّ ، مثل اخلاق الدهماء ، هل ذلك عدل ام ليس عدلا ؟

قال اقريطون : ليس عدلا .

قال سقراط : ولا ينبغي لنا ان تأخذ بالثار من أحد .

وهكذا تستمر المحاورة وهي تندّد بفعل الشر[١١] وتجعل التسامح هو الاخلاق الفاضلة ، فهو بهذه المحاورة يعلم الفضيلة لتلميذه .

والاخلاق في فلسفة سقراط مكونة من قوتين قوة الرغبة وقوة العقل ومن اتحادهما يحدث الخير ، وان العقل هو سبيل المعرفة وليس الحّس لأن الحس يختلف باختلاف الافراد ، بل باختلاف الحالات في الشخص الواحد ، وأن العلم هو الذي يحدد قيمة كل شيء ويشير الى ايـن يكون الخير وكيف السبيل الى تحقيقه . و متى حصل العلم لم يبق مجال للشك بأهمية الفضيلة .

والفضيلة عند سقراط قابلة للتعلم فالانسان يمكنه أن يتعلم الصدق والعدل والشجاعة ، ومن الممكن تعويده على الخير باطلاعه على نتائج الاعمال الحسنة ، وان من كان دأبه العلم والمعرفة يجب ان يكون على اخلاق فاضلة لأنه يعرف اهمية هذه الاخلاق .[١٢]

اما الخير والشر في فلسفة سقراط فان الانسان متى عرف الخير أرادَهُ ومتى أرادَه فعله ، اذ ان كل انسان يطلب الخير لنفسه

---

[١١] محاورات افلاطون – اقريطون – ترجمة وتحقيق زكي نجيب محمود ص١٣٤ .

[١٢] مع الفلسفة اليونانية – الدكتور محمد عبد لرحمن مرحبا – ص١٠٤ .

ولا يُقدم الانسان على الشر باختياره فان الشرور ناشئة عن الجهل في أكثر الأحوال .

ومن فلسفته ايضا ان معرفة النفس هي الاساس في الوصول الى الفضيلة ، وان الفضيلة هي الطريق الوحيد الى السعادة لانها علم في حين أن الرذيلة جهل . كما ان سقراط يعتمد على الاستقراء فينتقل من الجزئيات الى الكليات ، ويحاول الوصول الى المعرفة عن طريق السؤال كقوله : ما الخير وما الشّر ؟ ما العدالة وما الظلم ؟ ما الشجاعة وما الجبن ؟[١٣]

اما السعادة فيقول عنها ان الانسان يطلب السعادة ولكنها لا تنجم عن شيء مادي وانما هي اثر لحالة نفسية اخلاقية وهي الانسجام بين رغبات الانسان والظروف التي يوجد فيها وهذا ما اوضحه سقراط في خبر ذكره ( اكزينفون ) في الفصل السادس من ذكرياته عن سقراط[١٤] ، فقال في هذا الخبر ان ( انتيفون ) اعترض سقراط وانتقد سوء ، مظهره قائلا : كنت اعتقد ان الفلاسفة هم اسعد الناس غير أنه يظهر لي انك تأخذ من الحكمة ما يناقض السعادة . وانا اعتقد ان العبد لو يغذى كتغذيتك لهرب من سيده لأنك ترضى بغليظ الطعام واردأ الشراب وتستخدم صيفا وشتاء معطفا واحدا لا يساوي شيئا . انك لا تنتعل ولا تلبس قميصا .

واضاف انتيفون : اذا كان هؤلاء الذين تخالطهم مثلك فانت تعلمهم فن الشقاء .

---

[١٣] تاريخ الفلسفة اليونانية – يوسف كرم – ص٦٦ .

[١٤] المشكلة الاخلاقية والفلاسفة – اندريه كريسون ص٣٥ .

فاجابه سقراط انه لا يشعر بالحرمان مما لا يرغب فيه وأن طعامه لا يقل من الناحية الصحية وهو لا يصعب الحصول عليه ، وان الشهية لا تحتاج الى التوابل كما أن من يشرب بلذة لا يفكر في الحصول على انواع الشراب وقال انه لا يعتصم بالبيت من البرد ولا ينازع احدا الظل عند اشتداد الحر ، وعليه فلا توجد لذة تضارع الأمل في ان يصير الانسان اكثر عزة وكرامة . ثم قال له ان من خصائص الإله انه لا يحتاج الى شيء وان مما يقرب من الا لوهية ان يحتاج الانسان الا الى القليل .[١٥]

وجاء افلاطون تلميذ سقراط يربط الاخلاق بالسياسة وقال ان المدينة لا تتخلص من الشر ما لم يحكمها فيلسوف . وعلى هذا الاساس وضع كتابه الجمهورية الذي هو اهم كتب افلاطون الاخلاقية وهو مشروع كامل للتربية والنظام في الدولة حاول فيه ان يزيل من طريق المجتمع كل سبب يؤدي الى الخلاف والشقاق بين افراده كالملكية الخاصة والسلام والملابس والزوجة والولد فكل شيء بينهم مشاع .

وان عرض المذهب الاخلاقي لافلاطون ليس اسهل من عرض مذهب استاذه سقراط ولاسيما أنَّ كثيرا من النصوص الاخلاقية كتبها افلاطون في ازمنة مختلفة . وقد خالف استاذه سقراط في مسألة الصلة بين الفضيلة والعلم فقد انكر افلاطون هذه الصلة في كتابه ( مينون ) وقال ان العلم ينتقل من عقل الى عقل عن طريق البراهين والادلة و ليست الفضيلة كذلك ، فان ابناء اثينا لا يمكنهم لمجرد الدروس التعليمية ان يصيروا فضلاء مثلهم . وليس العلم اذن هو الذي يصيّر الرجل فاضلا .

---

[١٥] المصدر السابق – ص٣٦ .

اما ارسطو فقد قال ان الاخلاق هدفها الخير الذي هو وسط بين رذيلتين . غير انه يعود فيقول ان ليس كل فعل قد يقبل الوسط[١٦] فان بعضها يدل على الشر ولا يقبل الوسط مثل الخيانة والحسد والسرقة والقتل . وان الفضيلة والرذيلة إراديتان و يمكن اختيارهما طوعا وان الخير يؤدي الى السعادة التي نختارها لذاتها ، وما الخير الا طريق لها .

ويميز ارسطو بين درجات الفضيلة فيقول أن السرف والبخل رذيلتان وان البخل اردأ من السرف . ويرى الطموح فضيلة على ان لا يزيد عن حده ، وهو لا يعتبر الحياء فضيلة لأنه اشبه بالانفعال ، فالانسان الفاضل لا يفعل شيئا يستحي منه ، فاذا حدث فانه يكون من الأشياء الرديئة .

ويخصص ارسطو المقالة الخامسة من كتاب الاخلاق لموضوع العدل الذي يأخذ معانيَ كثيرة ، فالذي يقسم الاشياء بين الناس بالتساوي هو عادل . والذي لا يقسمها بالتساوي بل حسب ما يستحقه كل فرد وما يحتاج اليه فهو ايضا عادل . وان العدل الاجتماعي بعضه طبيعي وبعضه قانوني ، فما هو طبيعي فهو كالنار يحرق في كل مكان ، وما هو قانوني فانه يتبع القوانين الموضوعة وهي في تغيّر مستمر وتختلف من مكان الى آخر ، فمكاييل الحنطة ليست متساوية في كل مكان .

وفي كتاب الاخلاق يقول ارسطو ان العدل والظلم يكونان بفعل ارادي ولا ارادي فان الذي يفعل العدل أو الظلم بارادته فهو عادل او

---

[١٦] كتاب الاخلاق – ارسطو طاليس – ترجمة اسحاق بن حنين – تحقيق عبد الرحمن بدوي – ١١٠٤ب .

ظالم . اما الذي يفعل الفعل بلا ارادة فهو لا عادل ولا ظالم . وهذا القول مخالف لرأي سقراط وافلاطون وهما اللذان يقولان ان الرذيلة ليست ارادية . وحجة ارسطو ان الانسان لا يمكن ان يقبل الظلم او يرضاه ولكنه يتحمل الظلم بغير ارادته اذا وقع عليه من شخص آخر .

ويقول ارسطو في المصدر نفسه ( أي كتاب الاخلاق ) ان الصداقة فضيلة وهي ضرورية في حياة الانسان لأن اثنين اذا اجتمعا كانا اقوى على الفعل والفهم .

ولا اعتراض للفلسفة الاخلاقية على موضوع الصداقة ، الاّ ما كان يعرضه بعض الفلاسفة اللا اخلاقيين الذين سنأتي على ذكرهم في نهاية البحث .

**فلسفة الاخلاق العربية :**

انتقلت الفلسفة اليونانية الى العرب عن طريق الترجمة وقد تأثر الفلاسفة العرب بالفلسفة اليونانية ولاسيما فلسفة ارسطو . ولكن مسألة الاخلاق قديمة عند العرب ولا علاقة لها بالفلسفة اليونانية ، حيث كانت القيم الاخلاقية معروفة وظاهرة عندهم قبل عصر الترجمة . فكان من أخلاقهم الصدق والوفاء وكرم الضيافة والنخوة والشهامة ونجدة الملهوم ومساعدة من يستنجد بهم من الاغراب والمنقطعين .

وجاء الاسلام بمثل كانت ركنا أساسيا في هذا الدين وفي مقدمتها الاخلاق الحسنة وتأكيدها حتى جاء الحديث الشريف ( الدين المعاملة ) .

وقد قال الرسول الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ ( انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ) .

وفي هذا الحديث معان كثيرة :

اولها : التأكيد بكلمة ( إنّما )

وثانيها : ان البعثة كانت لهذا الغرض أي اتمام مكارم الاخلاق .

وثالثها : انها كانت لاتمام شيء كان موجودا ولكنه ناقص يحتاج الى اتمامه وليس ايجاد شيء جديد لم يكن من قبل .

فالمجتمع الجاهلي لم يكن خاليا من الاخلاق ولكن تعاليم الاسلام شيء آخر وهي التي يأمر بها القرآن والحديث النبوي ويتمسك بها المسلمون مع التخلي عن العادات السيئة التي كانت سائدة من قبل . ولا يمكن ان تقوم فلسفة اخلاقية متكاملة الا بعد معرفة الخير والشر والالتزام بالاول ورفض الثاني . وان نزع الشر من المجتمع يجب ان يكون قبل تأصيل الخير ، وقد قيل ( لا يعرف الحق من لم ينفصل عن الباطل ) لأن من ينفصل عن الباطل سيرى الحق بوضوح فيتعشق صورة الكمال في نفسه .

وليس المهم في فلسفة الاخلاق ان نعرف كيف يحيا الانسان بل كيف يجب ان يحيا ، وهذا معناه الوجوب وليس الاختيار وإن لم يكن تشريعا ، والنفس هي المرجع في ذلك .

وجاء عن النفس في كتاب ارسطو ( كتاب النفس ) قوله ان تحريك النظر في احوال النفس وهي الحزن والفرح والاقدام و التخوف والغضب

والتفكر والادراك بالحس نراها في جميع هذه الاحوال ... ولذلك يظن الظان ان النفس تتحرك وليس ذلك باضطرار لأنه وإن كان الحزن والفرح والتفكير ضربا من ضروب الحركات الا ان المتحرك بسبب النفس .[١٧]

ويؤكد الاسلام ارجاع الافعال الحسنة والسيئة الى النفس وان المفهوم العام للخلق هو ( هيئة للنفس تصدر عنها الافعال بسهولة من غير حاجة الى فكر وروية . فان كانت الهيئة تصدر عنها الافعال الجمياة عقلا وشرعا سميت خلقا حسنا وان كان الصادر منها الافعال القبيحة سميت الهيئة الالتي هي المصدر خلقا سيئا )[١٨] .

ومن المعلوم ان الانسان يتكون من ثلاثة عناصر هي الروح والجسم والنفس . فالروح هي المسببة للحياة والمحركة للجسم وليس لها علاقة بالتصرف بافعال الانسان . والجسم هو المتحرك اللاواعي ويتحرك بأمر النفس ويتصرف حسب ارادتها . واما النفس فهي التي تتمثل بها الانسانية والافعال عند الشخص الواحد وتميزه عن الآخرين بافكاره واعماله وتصرفاته ، وهي المسؤولة عن هذه الافكار والاعمال والتصرفات . ويؤكد القرآن ذلك بقوله تعالى ( يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ) [١٩] . فالنفس هي التي تعمل الخير او لا تعمله .

---

[١٧] كتاب ( في النفس ) – ارسطو طاليس – ترجمة اسحاق بن حنين – مراجعة وتحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي – ص١٩ .

[١٨] في النفس – ارسطو طاليس – ترجمة اسحاق بن حنين – مراجعة وتحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي – ص١٩ .

[١٩] آل عمران – ٣٠ .

وقوله ( ثم توفى كل نفس ما كسبت )[٢٠] . أي ما قامت به من عمل فنالت جزاءه او تصرف أخلاقي تحاسب عليه .

وقوله ( وما كان لنفس ان تؤمن الا بـاذن الله )[٢١] . والايمـان والكفر ايضا من عمل النفس .

وقولـه ايـضا ( ان الـنفس لأمـارة بالـسوء )[٢٢] . أي تـأمر بفعل الشرّ .

وقوله ايضا ( ولتنظر نفس ما قدمت لغد )[٢٣] أي ما قـدمت مـن افعـال تحاسب عليها بعدئذ .

فالنفس هي مصدر الاخلاق عند الانسان حسنة كانت او سيئة وهي صاحبة الارادة والآمرة بافعال الخير والشر وهذا هو مضمون الآيات السابقة .

ويقول ابن سينا ( ان النفس ذاتٌ واحدة – أي كيان واحد – ولها قوى كثيرة . وقوى النفس لا تجتمع عند ذات واحدة بل يكون للحسّ مبدأ وللغضب مبدأ ، كل على حدة ) . أي لا يجتمع الحس وغير الحس في وقت واحد ، ولا الغضب وغير الغضب يجتمعان في وقت واحد في النفس الواحدة .[٢٤]

---

[٢٠] آل عمران – ١٦١ .

[٢١] يونس – ١٠٠ .

[٢٢] يوسف – ٥٣ .

[٢٣] الحشر – ١٨ .

[٢٤] النجاة في المنطق والالهيات – ابن سينا – ج٢ ص٤٠ .

وتؤكد الأشعرية ان النفس هي اساس الخير او الشرّ وهي المصدر لهما ، فقد ذكر عبد الكريم القشيري في الرسالة القشيرية انه ليس المراد من اطلاق لفظ النفس الوجود ( أي وجود الانسان بكامل تركيبه ) وإنما ارادوا بالنفس ما كان معلولا من اوصاف الانسان ومذموما من اخلاقه وافعاله ، وهي على ضربين :

احدهما ما يكون كسبا له ( أي ما يكتسب من عادات ) . والثاني اخلاقهالتي تنتفي بالمجاهدة ... ويذكر من الاخلاق المذمومة :

الكبر والغضب والحقد والحسد وسوء الخلق وقلة الاحتمال وغير ذلك .[٢٥]

ويؤكد ابو حامد الغزالي في كتابه ( احياء علوم الدين ) الشيء نفسه ويقول ( اعلم ان النفس لها رذائل لابد من تنقيتها وتصفيتها فبذلك نصل الى سعادة الابد ) .

والحقيقة ان الاخلاق الحميدة او السيئة على السواء لا تنحصر في صفات وافعال محدودة ومعددة بل هي افعال لا نهاية لها طالما ان الانسان هو الانسان نفسه لا يتغير ولا يتبدل .

وكان الفلاسفة العرب قد اهتموا بدراسة علم الأخلاق و ساروا على خطى ارسطو واولهم الكندي وهو يعقوب بن اسحاق المتوفى سنة ٢٥٢هـ ، فيلسوف العرب واول من ارسى اركان الفلسفة في العصر العباسي فقال ان النفس هي اصل الخير والشرّ .

---

[٢٥] الرسالة القشيرية – ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري – تحقيق الدكتور عبد الحكيم محمود ومحمود بن الشريف – ج١ ص٢٤٨ .

وكان ابو نصير الفارابي ، وهو المعلم الثاني بعد ارسطو قد اعطى الاخلاق شأنا كبيرا من اهتمامه فقال ان علم الاخلاق يضع القوانين الاساسية التي ينبغي ان يسير عليها الانسان في سلوكه مع الآخرين وهي عند الفارابي ممارسة . ويقول ان الفعل الجميل ممكن قبل حصوله ( بالقوة ) التي فطر عليها . واما بعد حصولها فهي ( بالفعل ) ، وهذه الافعال اذا حصلت متى اعتادها لانسان حصلت الاخلاق .[٢٦]

اما ابو بكر الرازي فله آراء في الاخلاق منها ان الشر متأصل عند الناس وما الخير الاّ الخلاص من هذا الشر ولا يوجد من يسلم من الصفات المذمومة كالحقد والحسد وهم يتسترون عليها وتبقى كامنة في نفوسهم . وقد تأثر مسكوبة بفلسفة الرازي ولاسيما في موضوع اللذة التي يعرفها الرازي[٢٧] بانتقال الانسان من حالة كمال اقل الى حالة كمال اعظم ، وبعكس ذلك يكون الالم بانتقال الانسان من حالة كمال اعظم الى حالة كمال اقل . ومن الواضح ان لهذا الشيء اثره في كتاب تهذيب الاخلاق لمسكويه وفي رسالته في اللذات والآلام .[٢٨]

ويعد مسكويه من اكثر الفلاسفة العرب اهتماما بدراسة الاخلاق في المجتمع وتخصصا بها وله في ذلك عدة كتب منها تهذيب الاخلاق والفوز

---

[٢٦] التنبيه على سبيل السعادة – ابو نصر الفارابي – ص٨ .

[٢٧] رسائل الرازي الفلسفية – ابو بكر الرازي – تحقيق بول كراوس – القاهرة ١٩٣٩ – ص١٤٤ .

[٢٨] الفلسفة الاخلاقية الافلاطونية عند مفكري الاسلام – الدكتور ناجي التكريتي – ص٢٥٥ .

الاكبر والفوز الاصغر والحكمة الخالدة التي نقل مسكويه آراءها ومضامينها من مصادر مختلفة . ونلاحظ ان له رأيا في تصرف الانسان عندما يفعل افعالا حين الغضب او الشهوة او العقل او من اجل المصلحة الخاصة له .

اما ابو حيان التوحيدي فان الفضيلة عنده هي ممارسة تتم عن ثلاث طرق هي الدين والخلق ( أي الطبع ) والعلم [٢٩] . ويقول ان الصداقة مبعثها التكامل بين اثنين وهدفها الفضيلة حيث يطمئن الصديق الى صديقه وتربط بينهما الثقة والمودة . ويبدو ان التوحيدي كان متأثرا في موضوع الاخلاق بالفارابي الذي يقول ان الاشياء اذا اعتدناها اكتسبنا الخلق الجميل أي ان الاخلاق ممارسة سواء كانت اخلاقا حميدة او قبيحة .

ولابن حزم كتاب في الاخلاق يميز فيه أهمية العقل في الوصول الى السعادة وذلك باجتناب المعاصي والرذائل و التمسك بالفضائل[٣٠] ، وهو ما يفرّق الانسان عن الحيوان فتكون اللذة العقلية عنده هي اعظم الذات .[٣١]

---

[٢٩] مثالب الوزيرين – ابو حيان التوحيدي – تحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني – ص٢١ .

[٣٠] يقول ابو الهذيل العلاّف وهو احد رؤساء المعتزلة ان مبادئ الاخلاق عند الانسان هي المعرفة العقلية ، فان لم تكن كذلك فهي لا تستحق العقاب لأن فاقد العقل يخطئ ولا يعاقب .

[٣١] الاخلاق – علي بن احمد بن حزم – تحقيق ندى توميش – ص٥٥ .

وكان ابن سينا يقول في حديثه عن اللذة انها ليست ألا ادراك الخير الملائم من جهة ما هو ملائم ، فالحسية منها احساس بالملائم ، والعقلية تعقل الملائم .

ويعني ابن سينا ( بالاحساس الملائم ) الشعور بما يتفق ورغبة الانسان . اما ( العقلية التي تعقل الملائم ) فيقصد بها الارادة العاقلة لأن طبيعة الانسان تدفعه للحصول على الحدّ الاقصى من اللذة . ولكن الارادة العاقلة التي هذبتها تجارب الحياة تجعله ينظر في عواقب الافراط فيها .[٣٢]

وينصح ابن حزم باللجوء الى العلم والتعلم وطرح المبالاة بكلام الناس . ويذكر كثيرا من الفضائل ويحث على التمسك بها ، وكثيرا من الرذائل ويحذر من ممارستها . فالصدق عنده فضيلة مركبة من العدل والنجدة ، والكذب رذيلة وتتكون من الجور والجبن ، ويعتبر الكذب اقبح رذيلة . ويقول ان الاخلاق النبيلة يمكن ان تتحقق برياضة النفس التي هي اصعب من رياضة الجسم .

**الفلسفة اللا أخلاقية :**

الخلق هو السجية او الطبع قد يكون حسنا او سيئا . فالاخلاق الحسنة لها فلسفتها وقد ذكرناها بالتفصيل وذكرنا الآراء المتعلقة بها . اما السيئة فان فلسفتها هي الفلسفة اللا اخلاقية التي نرى من الضروري ذكر شيئ عنها فيما يأتي لاتمام البحث عن فلسفة الاخلاق بشكل عام .

وقد دعا الى المبدأ اللا اخلاقي جماعة ذكرهم افلاطون وشرح مذهبهم في كتابة ( غور غياس ) على لسان ( كَلّيكليس ) تلميذ

---

[٣٢] النجاة في المنطق والالهيات – ابن سينا – ج٢ ص١٠١ .

السوفسطائيين[٣٣] واوضح ان الخطر في ان هؤلاء الفلاسفة قدّموا حججا لتمجيد الشهوة والمنفعة الشخصية من دون الدعوة الى الخير والى اصول الاخلاق .[٣٤]

وكان ( كليكليس ) قد اعلن حربا على الاخلاق ودعا الى حمل راية الثورة ضدها وقال انها من اختراع الضعفاء ضد الاقوياء .

وحجة اللا اخلاقيين ان الطبيعة تقدم الدليل على ان العدالة تقضي بان يتفوق الا حسن والا قدر على الضعيف ، وان هذا يتمثل بوضوح في الحيوان والانسان والجماعات ، ويتمثل في اذعان الضعيف لهذا التفوق .

ولما كان جميع الناس يطلبون السعادة فقالوا كيف يعيش سعيدا من يخضع لاي شيء كان ، قانونا ام انسانا ، مع العلم ان السعادة هي ان يتعهد الانسان نفسه لارضائها وتحقيق شهواته ولا يتسنى هذا الا للرجل القوي كما يقوله هؤلاء . فالسعادة عندهم لا تتفق مع الشعور بالضعف والحرمان .

ومن هؤلاء الفلاسفة اللا اخلاقيين بعض اتباع ارستيفوس Aristippe القورينائي ( وهو من قورينا وهي احدى مدن برقة الحالية في ليبيا ) وكان من اتباعه ثيودورس الملحد Theooloros الذي ينكر الصداقة ويقول انها

---

[٣٣] المشكلة الاخلاقية والفلاسفة – اندرية كريسون – ص٢٧ .

[٣٤] تاريخ الفلسفة اليونانية – يوسف كرم – ص٧٩ .

لا توجد بين الحمقى ولا بين العقلاء ، فالحمقى تزول الحاجة عندهم الى الصداقة اما العقلاء فهم قانعون بانفسهم ولا حاجة لديهم الى الاصدقاء .[٣٥]

وقال ان السرقة والزنا والكفر مباحة في بعض الظروف لان هذه الافعال ليست شرا بطبيعتها وقال ان العاقل من استمتع بكل وجداناته صراحة من دون ادنى مراعاة للظروف . ومن ارائه الغريبة ان من العقل ان لا يضحي المرء بحياته في سبيل وطنه لانه ينبغي ان لا نطرح الحكمة لمصلحة الجاهلين .[٣٦]

ومن القورينائيين ايضا هجسياس Hegesiao الذي يرى انه لا عرفان بالجميل ولا صداقة ولا احسان لاننا لا نختار فعل هذه الامور من أجل ذاتها بل للمصلحة الشخصية . وقد انكر امكان السعادة لأن في الجسم آلاما تشارك النفس في ظهورها وانه لا أهمية للفقر او الثراء بالنسبة الى اللذة ، وان العبودية و الحرية والنيل وخسة العنصر والشرف والعار كلها تتساوى في تقدير اللذة .

وينصح هجسياس بان يعمل كل انسان من أجل مصلحته الخاصة ويقول ان العاقل من انقاد في كل افعاله لمصالحه الذاتية لأنه لا يرى غيره كفؤا له في الاستحقاق .

---

[٣٥] وهذا يخالفه رأي ارسطو بان انبل الامور التي تساعد في الوصول الى السعادة هي الصداقة لأنها ضرورية للانسان السعيد وهي اكثر اهمية من العدالة ، اذ لا حاجة الى العدالة عندما يكون الناس اصدقاء ويكونون عادلين مقسطين مع بعضهم .

[٣٦] افلاطون – الدكتور عبد الرحمن بدوي – ص٢٦٧ .

وكانت الفلسفة اللا اخلاقية عبر تاريخ الفلسفة شيئا لافتا للنظر ولاسيما الاعتقاد بان تضحية الفرد من اجل الجماعة ليس ألا بلاهة ، اما الذكاء فهو فلسفة القوة وتفضيل النفس على الاخرين نهما كانت الظروف .[٣٧]

واذا كان اصحاب الفلسفة اللا اخلاقية بهذه الآراء التي يحملونها الى اتباعهم فهم يعتقدون انهم يغوصون في اعماق النفس البشرية ويتمردون على انحراف الطبيعة . وقد ظنوا ان الفلسفة الاخلاقية لم تتوصل بعد الى هذه الحقيقة . غير أن فلسفتهم هذه لقيت معارضة شديدة وانتهى امرها الى الزوال ، فان الاشياء التي تخالف سنة الحياة لا يمكن ان تبقى بل تزول عاجلا او آجلا كما حدث للسوفسطائيين .

اما القانون الذي قالوا عنه انه من وضع الناس وليس من وضع الطبيعة وقد وضعه الضعفاء لتخويف الاقوياء ومنعهم من التسلط عليهم فقد ردّ عليهم فلاسفة آخرون بقولهم ان القوانين وضعها الاكثرية وان الكثرة هي التي فرضت القانون فهي الأحسن من حيث انها الاقدر . واذا كانت العدالة افضل من الظلم فهو ما تريده الطبيعة . وعليه فلا تعارض بين الطبيعة والقانون .[٣٨]

ومن البديهي ان تتفرع من الفلسفة اللا اخلاقية فلسفات اخرى ومنها الفوضوية والعبثية والميكيافيلية وغيرها . ولعل منها الفلسفة العدمية

---

[٣٧] مجلة دراسات فلسفية – بيت الحكمة – العدد ٣ – ايلول ١٩٩٩ – ص٥٨ – مقال للدكتور عادل البكري .

[٣٨] تاريخ الفلسفة اليونانية – يوسف كرم – بيروت ١٩٣٦ – ص١١٦ .

Nihibism وهي اقربها الى العقلانية لانها تمجد العقل وتجعله اساسا لمقوماتها وهي فلسفة قديمة تكاملت وظهرت في اوربا بعد الحرب العالمية الثانية على اثر الاحباط واليأس اللذين ظهرا عند الشباب المثقف والتشرذم الفكري لديهم .

## المصادر


١- القرآن الكريم .

٢- احياء علوم الدين – ابو حامد محمد بن محمد الغزالي – طبع بيروت – بدون تاريخ .

٣- الاخلاق – ارسطو طاليس – ترجمة اسحاق بن حنين – تحقيق عبد الرحمن بدوي – الكويت ١٩٧٩ .

٤- الاخلاق – علي بن احمد بن حزم – تحقيق ندى توميش – بيروت ١٩٦٦ .

٥- تاريخ الفلسفة اليونانية – يوسف كرم – بيروت ١٩٣٦ .

٦- التنبيه على سبيل السعادة – ابو نصر الفارابي – حيدر آباد الدكن ١٣٤٦هـ .

٧- خريف الفكر اليوناني – الدكتور عبد الرحمن بدوي – بيروت ١٩٧٩.

٨- رسائل الرازي الفلسفية – ابو بكر الرازي – تحقيق بول كراوس – القاهرة ١٩٣٩ .

٩- الرسائل القشيرية – ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري – تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف – القاهرة ١٩٦٦ .

١٠- الفلسفة الاخلاقية الافلاطونية عند مفكري الاسلام – الدكتور ناجي التكريتي – الطبعة الثانية – بغداد ١٩٨٨ .

١١- فيلسوفان رائدان – الدكتور جعفر آل ياسين – بيروت ١٩٨٣ .

١٢- قصة الفلسفة – ول ديورانت – ترجمة فتح الله محمد المشعشع – بيروت – الطبعة الرابعة – ١٩٧٩ .

١٣- كتاب النفس – ارسطو طاليس – ترجمة اسحاق بن حنين – مراجعة وتحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي – الكويت ١٩٨٠ .

١٤- كتاب تاريخ الفلسفة العربية المعاصرة – بيت الحكمة الدكتور حسن فاضل جواد – بغداد ٢٠٠٣ .

١٥- مثالب الوزيرين – ابو حيان التوحيدي – تحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني – دار الفكر – دمشق ١٩٦١ .

١٦- مجلة دراسات فلسفية – بيت الحكمة العدد ٣ – ايلول ١٩٩٩ – مقال ( اللا اخلاقية والفلسفة العدمية ) .

١٧- محاورات افلاطون – اقريطون – ترجمة وتحقيق زكي نجيب محمود – القاهرة ١٩٣٧ .

١٨- مدخل جديد الى الفلسفة – الدكتور عبد الرحمن بدوي – الطبعة الاولى – الكويت ١٩٧٥ .

١٩- المشكلة الاخلاقية والفلاسفة - اندريه كريسون - ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود وابو بكر زكري - القاهرة ١٩٤٦ .
٢٠- مشكلة الفلسفة - الدكتور زكريا ابراهيم - القاهرة ١٩٧١ .
٢١- مع الفلسفة اليونانية - الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا - بيروت ١٩٨٠ .
٢٢- النجاة في المنطق والالهيات - ابو علي الحسين ابن سينا - الطبعة الاولى - بيروت ١٩٩٢ .